

خطاب الإنية وسؤال الهوية في فلسفة بلقاسم نايت بلقاسم الجزائري

The Discourse of Ego and the Question of Identity in the Philosophy of the Algerian BelkacemNaitBelkacem

فريدة أولمو *

قسم الفلسفة، جامعة الجزائر 2 - الجزائر farida.oulmou@univ-alger2.dz

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الإرسال:
2025-01-31	2024-10-12	2023-07-24

ملخص: بلقاسم نايت بلقاسم هو الجزائري الذي اقترن اسمه بمحددات الهوية الجزائرية وبمشروع الهوية الذي أسسه لذاته ووطنه محاولا من خلاله الجمع بين الوطنية والنقد الفلسفي هادفا إلى تأصيل الهوية الإسلامية العربية في الأمة الجزائرية ، والبحث عن سبل جديدة للنهوض والحق بالركب الحضاري العالمي، كان هدفه التصدي للحركات التغريبية، الدفاع عن الإسلام وعن الأمازيغية والعربية والتعلم باستمرار من دروس التاريخ. وهو الشهير ب: "علينا أن نهتم بعد اليوم أكثر من ذي قبل بسجلات وجودنا بين الأمم وألا نهمل أوتادنا التاريخية وشهادة ميلادنا والسوابق العدلية لنا وبطاقة أنيتنا وتعريفنا ووثيقة وجودنا في سجل الوجود؛ فما هي سجلات الوجود بين الأمم هذه التي اقترحها الراحل؟ وفيما تتمثل بطاقة إنيتنا حسبه؟

هذا ما سنحاول تحليله والوقوف عنده في هذا المقال اعتمادا على درره وجواهر كلامه واستقراء لنصوصه الفلسفية النقدية التي ميزتها فصاحته العربية بالرغم من إتقان عدة لغات عالمية قراءة وكتابة ونطقا.

كلمات مفتاحية: الإنية؛ الفلسفة؛ الإسلام؛ الجزائر .

Abstract: BelkacemNaitBelkacem is an Algerian whose name is associated with the determinants of Algerian identity.

* المؤلف المرسل

He established for himself a special philosophy that combines patriotism and philosophical criticism, aiming at rooting the Arab-Islamic identity in the Algerian nation, and searching for new ways to advance and catch up with the global civilization.

And what he really wanted to confront Westernization movements, to defend Islam and the Amazigh and Arab languages, and to constantly learn from the lessons of history.

Keywords: identity; Philosophy; Islam; Algeria.

1- مقدمة: العمق المعرفي والفلسفي والفكري لمولود بلقاسم نايت بلقاسم:

مولود بلقاسم نايت بلقاسم المفكر الناقد الأستاذ والسياسي المسلم الأمازيغي العربي، هكذا عرف ذاته وعرف وطنه وأمه بهذا الترتيب فكريا وسياسيا وهذه هي "إنيته"، لم يتخبط الرجل في جدلية "الأنا والآخر" وفي صراع الهوية أو الهويات ككثير من الساسة والمفكرين.

غلبت وطنيته وطغت على مصالحه الشخصية، وتجاوزت فلسفته حدود طموحاته السياسية فكان واضح المسار، واثق الخطى، كثير الحجاج قليل التحايل في السياسية لم يقبل أبدا ما يتماشى في عقيدته وأنيته و الاعوجاج، ويروي لنا صديقه محمد الصالح الصديق قصة تثبت وضوح عقيدته وتوجهه الفكري، وسرعة بدايته منذ بداية حياته. إذ يروي لنا قوة وصلابة موقفه وردة على أستاذه عندما كان يتلقى التعليم الفرنسي، قال: "ذات يوم صور الأستاذ صورتين على الصبورة إحداها لرجل أنيق والأخرى لأعرابي قبيح المظهر ويحمل على كتفه خراج فيه طعام وفي يده عصي، وقال لهم: انظروا الأولى للمسيح والثانية لمحمد ويا ترى من يقبل أن يصاحب الأعرابي المغربي ويترك الأنيق"، فسكت الجميع إلا مولود قاسم وقال: "أنا مع هذا الأعرابي، لأن معه زاد لا يجوع من اتبعه وعصى لا يخاف من كان معه"¹.

لم يقبل سي مولود الاستفزاز ولا الاستهزاء بمرجعياته الدينية التي يقول عنها: "أتذكر أننا كنا نقوم وقت الفجر لتعلم العربية قبل الذهاب إلى المدرسة التي كنا

نتعلم فيها الفرنسية، المسجد كان مدرسة للكبار والصغار، وفي المساء عند خروجنا من المدرسة الفرنسية إلى المسجد لمواصلة تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم²؛ وإن دل هذا الكلام عن شيء إنما يدل على أن المنهل الأول لكل معرفه ومبادئه في الحياة هو الدين وهو القرآن الكريم الذي وصفه بمدرسة الكبار والصغار.

كما كان سي بلقاسم شديد الحيرة من جهة والتذمر من جهة أخرى - ومنذ الصغر - من أساليب فرنسا التبشيرية والإيديولوجية الداعية إلى اعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا وقبل أن تتقوى شخصيته وعزيمته بالتمدرس على يد الشيخ محمد الطاهر آيت علجت الذي لقنه علوم الحساب والتاريخ والفقه والصرف وغيرها، تغلب ذكاؤه وفطنته على كل الأساليب الدعائية التي اتخذتها فرنسا حجة لتشتيت عقيدة الشباب الجزائري، وهذا ما أعطاه دفعا قويا للتمدرس في الزيتونة وفي فرنسا والاطلاع على الفلسفات الألمانية على اختلاف أنساقها ومذاهبها، لم يترك الشاب بلقاسم نايت بلقاسم بابا من أبواب المعرفة لم يطرقه إلا ما استصعب أمره بسبب الظروف الاستعمارية في الوطن.

أما عن شغبه السياسي وهو في مرحلة الشباب واشتباكاتة الكلامية مع السلطات السياسية رده على القاضي الفرنسي الذي وصفه بالديك قائلا: "لا تنس أيها القاضي أن الذي يوقظ الناس في القرى هو الديك، فهو مؤذنههم ومخبرهم بنهاية الليل وبداية النهار وبنقشاع الظلام وبطلوع الفجر³؛" وكما ذكرنا؛ فقد تقطن إلى ألعيب فرنسا التي لم يكن هدفها إلا زعزعة العقيدة في نفوس الجزائريين وإضعاف الجانب الروحي فيهم فيصبحون متذبذبين ما هم بالمسلمين الأصحاء الذهن الأقوياء، ولا هم بالمسيحيين النجباء، وأدرك مبكرا أيضا أن هم فرنسا هو جعل شباب الجزائر

بلا انتماء واضح بحيث يصبحون لا هم ينتمون إلى هؤلاء (فرنسا المسيحية) ولا إلى هؤلاء (الجزائر المسلمة) كما عبر عن هذا في مقالات عدة له.

ومما يروى عنه أنه في إحدى زيارات القايد للقرية (فرنسا هي من تعين القايد) أن مولود بلقاسم قال: "من يسلم على رأس القايد لا يصفاحني أبدا".⁴

وعن تكوينه الفلسفي الذي هو محور مقالنا هذا فإن اطلاعه المبكر على مناهج وخبايا المستشرقين إثر ذهابه إلى فرنسا عام 1949م، منحه فرصة التلمذ وتعلم روح النقد والسجال الفكري والاحتكاك بمفكري العرب والمسلمين أمثال زكي نجيب محمود وعثمان أمين وغيرهما ممن كان لهم باع وصيت في الساحة الفكرية والفلسفية وكان له قبل هذا رصيد معرفي واسع عن ابن سينا الذي استلهم منه مفهوم الإنية، وابن رشد وعلماء الجزائر وكتابها كالإبراهيمي وابن باديس وغيرهم.

وإن فشل مشروع "الحرية عند المعتزلة" الذي أراده مولود قاسم نايت بلقاسم أطروحة للدكتوراه في فرنسا و عدم اكتمال مشروع "الحرية عند كانط" في الجامعة الألمانية إلا أن مشروع التحرر الفعلي والعملية كان أكثر المشاريع الفكرية أهمية عنده فقد تفرغ سي مولود إلى التعريف بالقضية الوطنية في مختلف المحافل الدولية .

ويمكننا إدراك التأثير الشديد لمولود قاسم نايت بلقاسم بالفيلسوف الألماني فخته (1762-1814م) في مرتكزات فلسفته الثلاث: الدين، اللغة وحب الوطن وهي ذاتها مرتكزات الإنية التي يعتمدها مولود بلقاسم نايت بلقاسم في فلسفته وسياسته الخاصة إذ كانت توجهه الفكري نحو فيخته مباشرة حيث قال في إحدى كتبه "يرى فيخته صاحب الإنية أو الذاتية أن وجود أمة من الأمم مرهون بوجود إنيتها أو شخصيتها التي تتكون من ثلاثة عناصر وهي الدين، واللغة وحب الوطن...".⁵

أما بعد الاستقلال وبعض من الاستقرار فقد سعى الرجل إلى تأصيل منهاج معرفي وسياسي -سنعود له بالتفصيل لاحقا- وهو:

ملتقيات الفكر الإسلامي (1968-1991).
مجلة الأصالة (1971-1981).

2- مولود بلقاسم نايت بلقاسم: الفلسفة وسؤال الهوية: اقترن اسم سي بلقاسم بـ"الإنية" حتى أن جيلنا من الباحثين في الفكر الجزائري يسمونه في غالب الأحيان بفيلسوف الانية وهذا لاختصار كل طروحات وتساؤلات الباحثين في مسألة الهوية عند بلقاسم نايت بلقاسم في إجابة قطعية واضحة وصريحة مفادها أن الهوية هي الإنية مؤكدا ذلك في كل مرة قائلا: "نفضل كلمة الانية على كلمة الهوية" شارحا لنا أن الانية التي اقتنع بمفهومها وأصل اشتقاقها الإسلامي من الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه الإشارات والتنبيهات حيث فسر مفهوم الانية بذلك الشعور العظيم والخاص بالأنا المتميز والمختلف عن الآخرين، فالإنية في نظر بلقاسم نايت بلقاسم وفي نظر ابن سينا هي ركيزة وأساس الوجود الحقيقي للذات الإنسانية وعبر عنها "أقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، وهي تلك الإنية التي يتكلم عنها ابن سينا والتي تتلخص في أنه كان قد تصور نفسه معلقا بين السماء والأرض، وأن جسمه قد انتزع منه وفي حكم العدم، ولم يبق له في تلك اللحظة، وهو بين عالمين، إلا ذلك الوعي الحاد بوجوده، وشعوره بذاته المتميزة، القائمة بذاتها، المستقلة عن غيرها، وهذا التصور لابن سينا هو الذي كان الأصل في ذلك الكوجيتو الديكارتي المعروف"⁶

فما هي مقومات الإنية عند بلقاسم نايت بلقاسم؟ وكيف انعكس هذا البعد الفلسفي بالإنية على حياته الاجتماعية والسياسية؟

كان تأثر سي بلقاسم بالاستعمار الفرنسي واضحا في شغبه ورفضه لمحاولات التجنيس والتبشير الفرنسية منذ الصغر؛ كما كان وعيه المبكر بضرورة الاطلاع على ثقافات وعلوم الآخر عاملا حاسما في صقل شخصيته وملاحم فكره مبكرا أيضا،

فإصراره على البحث في مسألة الحرية إن كانت عند المعتزلة عنده أو عند كانط أو عند غيره، هي إشكالية البحث في الحرية وسبل التحرر، ومن أهم السبل التي انتهجها سي بلقاسم نحو التحرر وحب الوطن والتميز والتفرد والمغاير للآخر هو مقومات الانية والمتمثلة في:

• الدين وهو عند الله الإسلام وعند سي بلقاسم بالإسلام فقط استطعنا حماية أنفسنا (يقصد الجزائريين جميعا) من المسخ ومن الاندماج، فبفضل الإسلام قاومنا وبه تقوت قضيتنا وبه خضنا الكفاح المسلح، وبالإسلام رسمنا خططنا السياسية التي حررتنا من بطش فرنسا. نعم هكذا يقول: "لولا الإسلام لما تحرر بلد من البلدان، وبدونه لن يتحرر أي بلد من بلاد الإسلام التي لاتزال مستعمرة في مختلف أنحاء المعمورة" ولا يمكن التحرر بأي شكل من الأشكال في غياب المرجعية الدينية فمنها تنطلق القيم وبها تتكامل.

قال سي بلقاسم في كتابه إنية وأصالة: "...الإسلام كان ولا يزال الدين الرسمي للدولة الجزائرية ورمز من رموزها الخالدة عبر مسيرتها التاريخية، فدين الدولة الرسمي في هذه البلاد هو الإسلام وهذا مكتوب ومسجل⁷، سواء كان هذا قبل الاستقلال أو بعده، الدين هو قوام الذات الجماعية والشخصية الجزائرية.

• اللغة العربية: في مجريات دفاعه المستميت عن التعريب وعن اللغة العربية كان سي بلقاسم يستشهد بكبريات دول العالم كفرنسا وألمانيا اللتان كان يعرف فلسفتهما وأيديولوجيتهما جيدا بفضل احتكاكه بمدارسهما الفلسفية والفكرية على الدوام إذ كانت فرنسا تصر على أن اللغة هي الجنسية، وألمانيا ترى أن اللغة هي مادة المواد فما بالك باللغة العربية التي أريد لها الفناء والعبث واتهمت بأنها لغة الشعر والغناء؟

يرى السي بلقاسم "أن الذي يفقد لغته يفقد الخيط الذي يصله بالأجداد ويفقد معها حلقات ماضيه، ويشعر بفجوة عميقة حقيقية في تطوره، ينقطع عن أصله، كجلمود صخر انفصل عن الصخرة الأم وحط السيل من عل، فجرفه وقذف به بعيدا إلى أعماق الذوبان، والإمحاء واللاوجود"⁸.

وفي معاركه المستميتة حول التعريب أكد دائما أن الادعاءات التي تدور حول قصور وجمود اللغة العربية ادعاءات سياسية كاذبة باطلة فاللغة العربية قبل أن تكون لغة علم ومعرفة هي لغة محملة " بتلك العناصر المكونة للذاتية الشخصية القومية فهي ذلك التيار الذي يبعث الروح في جميع الكيان الوطني، وذلك الإسمنت الذي يضمن وحدة البنيان القومي والذي بدون تلاحمه لا يمكن أن يكون أي كيان لأمة من الأمم"⁹

• **الأمازيغية:** وهي قوة بالنسبة إليه ورمز للأصالة والشموخ وعمق تاريخ الجزائر والأمازيغية مرتبطة لديه بالأصالة من حيث هي شعور الإنسان أو اقتناعه العميق بانتسابه إلى مجموعة بشرية هي أمته وإلى أديم هي بلاده وتشعبه بتصورات ومفاهيم وأفكار انحدرت إليه من الأسلاف في أعماق التاريخ¹⁰

• **التاريخ:** "التاريخ هو الإسمنت الروحي - إذ فيه الدين أيضا- والايديولوجي والسياسي، لتقوية وحدة الأمة وتعزيز تماسكها، وتوطيد أركانها وتعميق الوعي بتلك الوحدة، وإذكاء الإحساس بذلك التماسك، مما يعطيها في الداخل تصورا واحدا للحياة، ويبرزها للخارج كرجل واحد"¹¹، وقد كتب كتابا في جزأين حول حقبة تاريخية منسية من تاريخنا وهو الذي عنوانه بـ: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، كما ألّف كتابا رصد فيه ردود الفعل داخليا خارجيا حول أول نوفمبر، بالإضافة إلى هذين الكتابين نشر العديد من المقالات حول الموضوع نفسه لعل أبرزها:

-اعتبار ماضينا لبناء مستقبلنا.

-لسنا يتامى التاريخ.

-التاريخ ذاكرة الأمم.

-للأمم أيامها.

-التاريخ يا شماريخ.

ويؤكد العبارة "ولهذا فالتاريخ ثم التاريخ يا أيها الشماريخ، التاريخ يا شماريخ¹²" والشمرخ هو الغصن الرطب الطري الرقيق، وعن جمالية ورمزية العبارة لديه قد تكون دلالة أو إشارة وبالأحرى كناية عن الشباب الفتى في مقتبل العمر فدروس التاريخ هي دروس الخلود والوجود ولربما الملتقيات التي كانت حول يوغرطة ولالة فاطمة نسومر والأمير عبد القادر وغيرها كانت مقدمة لتقوية عود الشماريخ.

"والتاريخ هو أحد العناصر الأساسية لشخصية أي بلد ومن أهم مكونات الذاتية لأي أمة من الأمم¹³"، هكذا عبر وهكذا اعتقد دائما مولود قاسم نايت بلقاسم الذي ألهم الشاعر الكبير مفدي زكريا كتابة إلياذة الجزائر قبلقاسم هو والد الجزائريووغرطا. وهو المتأثر بالفيلسوف الألماني شوبنهاور الذي اعتبر أن التاريخ بالنسبة للأمم بمثابة العقل للأفراد.

• **حب الوطن:** حب الوطن من الإيمان ولا يمكن أن تستقيم الإنية الجزائرية ولا أن يتقوى هذا الإيمان إلا بكل متكامل لا ينقص منها عنصرا واحدا وقد ردد سي بلقاسم: "أما عناصر هذه الإنية، أما مكونات هذه الشخصية، أما أركان هذه الأصالة التي تمثل التضحية من أجل ما سميناه بأصالية، هي اللغة والدين، والتاريخ وحب الوطن¹⁴" وقد استمد أيضا حبه للوطن من فيلسوفه المفضل فيخته ومن تعلقه ببجاية

وبالذشرة وبالجزائر قاطبة وقد رد طيلة حياته عباراته الشهيرة المتداولة أوساط محبيه وتلامذته من الساسة والمتفقين أن حب الوطن هو العنصر الدائم والأساسي لحياتنا المدنية كمواطنين فحب الوطن حب خالد كما أن الوطن خالد دائما وأبدا في قلوبنا وفي أفعالنا التي نريدها لنثبتته واستقراره وتقديمه يقول كذلك "إن الوطني هو الذي يعمل على تحقيق هدف الإنسانية قبل كل شيء في أمته التي هو عضو منها، إن الوطن خالد، هذا الوطن الأرضي الحسي الذي نحن فيه، وإن الذي لا يحب وطنه ليس له وطن، وإني لأرثي كل الرثاء لمن لا وطن له"¹⁵

3- علاقة الدرس الفلسفي بالسياسة عند بلقاسم نايت بلقاسم:



صورة لمولود قاسم نايت بلقاسم رفقة الرئيس الراحل هواري بومدين

ذكر سي بلقاسم يوما أن زعزعة الهوية الجزائرية لا تزال مهددة من قبل المكائد الفرنسية وستبقى إلى يوم الدين قائلا: "وهناك الارساليات المختلفة التي تنشر، وأستطيع أن أقول لكم أنها أرسلت إلى مواطنين في وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية،.....ويركزون بالدرجة الأولى على الطالبات لأنهم يعرفون أنهم إذا مسحوا امرأة مسحوا عائلة كاملة"¹⁶ لهذا فإن الدرس الفلسفي في الجزائر يجب أن

يستمد قوته من روابط الأمة ومقوماتها الحقيقية لا الوهمية؛ ولأن الدين هو الرابط الأول والأساس الذي تبنى منه القيم وتتأصل به الإنية فإن "...الإسلام بصفته ديناً ساموياً كاملاً، والدين عند الله الإسلام، فهو فياض بالروحيات والأخلاقيات والمعنويات عامة، كما أنه دين العمل والجهد، ودين القوة والجهاد، وليس دين الاستكانة والمهانة ...، بل هو دين العدالة والانصاف، ودين العزة والأنفة والشرف، ودين التساوي في الفرص والإمكانات بالنسبة للجميع¹⁷.

وخلاصة هذا أن الدرس الفلسفي في الجزائر يجب أن تكون انطلاقة مبدئية وحذرة من الأغاليط والزيغ والانحراف عن سبيل الحق والحكمة، فمحبة الحكمة هي محبة الحق والحقيقة، والإسلام دين هاته كلها نظرياً وعملياً وعلى حد تفسير وتعبير السي بلقاسم في ندواته ولقاءاته ومحاضراته فالإسلام ليس دين عبادة يتوافق فقط مع مفهومي الجنة والنار دون سواها، بل هو دين علم وعمل وحضارة وتحضر وإن العلم الشرعي له أساس العلوم ومنها تنفرع وبلا علم لا ترتق الأمم.

اعتقد أيضاً دروس العدالة السياسية والاجتماعية وما عرف فلسفياً من مدارس ومذاهب العقد الاجتماعي يمكن تدريسها وتوظيف مفاهيمها في الحياة السياسية والاقتصادية في الجزائر بالعودة الرشيدة إلى الفقه الإسلامي المالي وربما هذا ما تحاول الجزائر تطبيقه منذ مجيء السيد عبد المجيد تبون على رئاسة الجمهورية وبدأت ملامح التفكير الفلسفي عند سي بلقاسم تدخل حيز التنفيذ في الحياة السياسية، الاجتماعية والاقتصادية، قال سي بلقاسم في زمنه: "...جاء الإسلام ثورة على الربا وجميع صور تكديس الثروة في أيادي قليلة تفرض حكمها وجبروتها... فالإسلام لم يجعل كل المال لصاحبه، بل جعل فيه حقاً معلوماً واجبا

يرذخ طوعا أو كرها وواجب على المسلمين دولا وأفرادا إطعام الجوعان وإكساء العريان، وسد حاجة معقولة، وهو واجب وليس منحة...¹⁸.

الدرس الفلسفي في الجزائر يجب أن يستمد من التاريخ وفلسفة التاريخ وتاريخ الفلسفة ذاتها ولا مكانة لأي درس في غياب المعرفة التاريخية المحلية، والاطلاع على تاريخ وثقافات وحضارات الآخر، والآخر الحاضر عند سي بلقاسم هو التأثير الواضح والجلي بالفلسفة الألمانية كما ذكرنا سابقا فقد كان تأثر مولود نايت بلقاسم واضحا بفخته، بكانط وهيجل من الفلاسفة الألمان الذين زودوا فكره بنخيرة فكرية صلبة تثير الفكر الديني عنده وتقويه؛ كذلك التاريخ من الأهمية بمكان فهو روح وعصب الأمم وليس ماضيها فقط يقول في هذا: "علينا أن نهتم اليوم أكثر من ذي قبل بسجلات وجودنا بين الأمم، وألا نهمل أوتادنا التاريخية فهي الأعمدة التي نستند إليها والركائز التي نتشبت بها، وشهادة ميلادنا والسوابق العدلية لنا، وبطاقة إنيتنا أو تعريفنا ووثيقة وجودنا في سجل الوجود"¹⁹ وطالب في كل مراحل تقلده للمسؤوليات والمناصب السياسية أن يعتنى بالتاريخ وبفلسفة التاريخ عناية خاصة وأن يتدارك الجزائريون ما فاتهم من عدم تسجيل ذاكرتهم الجماعية في مراحل عدة من مراحل نشوء الأمة الجزائرية والهدف الذي أراده من كتابه "شخصية الجزائر الدولية وهيتها العالمية قبل سنة 1830م" هو إحكام الصلة بين حلقات سلسلة التاريخ الجزائري العريق والوجود الدولي المتميز والمنفرد، ويتأسف كثيرا لحالة أجدادنا الذين أضاعوا تراثهم وتاريخهم بعد تدوينهم للأحداث والوقائع وجادة الأفكار في أوانها ووقتها، وقد ردد دائما أن "الوعي بالتاريخ يعمق الوعي بالذات ويقوي الاعتزاز بالوطن والشرف بالإنية الوطنية"²⁰.

لا وعي ولا درس فلسفي في الجزائر دون تدوين التاريخ بالمنهجية المناسبة لذلك، وفي هذا يقول وبحماسة الفيلسوف الذي لا يتقن مناهج التدوين التاريخي "تأمل

أن يصحح تاريخنا ولا يبقى المزور الشاحب ولا نراعي في الحق الأخ ولا القريب ولا صاحب، وأن نقلع عن الإهمال والضياع المصاحب، وإلا فكلنا على التاريخ أصبح الباكي الناحب²¹.

امتزج الوعي الفلسفي لدى سي بلقاسم بالوعي التاريخي والديني وفي مشروعه عن التكوين الأصلي وإحاقه بالجامعات والمدارس العليا ووصفا لكلية الشريعة الإسلامية بقسنطينة ولكل التخصصات العليا التي كان يأملها لاحقا عبر: "مهام هذه الجامعة تتمثل في ثلاث؛ أولها أنها الجامعة الأولى المعربة كليا ومنها ننشر التعريب إلى الجامعات الأخرى،،، والثانية هي تكون بدرجة الليسانس والدكتوراه ومن خلالها يتخرج أئمة ممتازين يمكنهم مكافحة المسخ والنسخ والفسخ ،،، وزيادة عن هاتين المهنتين تزود المتخرجين في مجال الطب والهندسة... (وباقى العلوم) بعنصرين أساسيين وهما غرس الروح الأخلاقية الإسلامية فيهم،،،، والعنصر الثاني هو إشباعهم بدور الحضارة الإسلامية في مجال تخصصهم فالذي يدرس في هاته الجامعة يدرك دور الحضارة الإسلامية في تشكيل هذه العلوم مثل الرازي وابن سينا والخوارزمي ووو، وبهذا تعزز ثقتهم بنفسم ويعرفون تراث أجدادهم وتاريخهم وبهذا نجعلهم يتمسكون أكثر بإنيتهم²²"

الدرس الفلسفي في الجزائر يجب أن يكون "تفتح لا انفتاح"، يجمع بين العقلانية المهذبة لا الانفتاح المتهور الساذج الذي هو مرض عميق ومستعصي، فالتهافت على كل ما هو خارجي دون وعي وروية هو أصل المصائب كلها فالهارب من أصلاته هو الهارب من وعيه وذاته والمتغلغل في الاغتراب والخراب وهذا إبطال للفلسفة واغفال لدور العقل ووظائفه. كما أن التغني بالشعارات والشكليات والتمسك بالباليات من العادات والخرافات قد يحول الفكر إلى مجموعة أشكال دون روح

وأصحاب هذا الاتجاه المتطرف مرفوض لدى سي بلقاسم في الرؤية الفلسفية في الجزائر لأن أمثال هؤلاء يخنقوننا بتجمد فكرهم فلا تلحقنا منهم لا نسمة هواء ولا بصيص نور كما وصفهم.

الدرس الفلسفي يجب أن يبتعد عن العلمانية الموهومة والمزعومة والتي أسماها سي بلقاسم خرافة فصل الدين عن الدولة وقد أقر في مؤلفاته ومحاضراته وكتبه رفضها واعتبر كل مسلم يصدق هذه الأكاذيب ساذج وقدم لنا أدلة كثيرة وواقعية عن عدم تخلي فرنسا تمويل مراكز تعليم الديانة المسيحية وكذلك دول أوروبية عدة، وأشاطر سي بلقاسم في هذا الموقف إذ أن الفلاسفة الأوروبيين وجدوا سبيلا جديدا لملء الحياة الروحية وتصحيح مسار دياناتهم ببحوثهم المعاصرة حول ما يسمى حاليا بفلسفة الدين ونزعات ما بعد الحداثة.

الدرس الفلسفي في الجزائر يجب أن يتسم بالأصالة وهي "ليست الجمود في المكان والخمود في الزمان والتقوقع حول النفس والانغلاق عن الغير والتوقف عن السير والتخلف عن الركب العالمي، بل هو الزحف إلى الأمام والبروز إلى فوق والضرب بالمنكبين ورفع الراية عالية لتتبي عن الوجود المميز المزاحم"²³.

أراد السي بلقاسم أن تكون التربية روح التعليم ونفسه الذي يتنفسه، فلا تعليم دون تربية ولا تربية دون إنية ودون شخصية،.... لذلك فالمناهج التربوية قائمة على فلسفة خاصة لديه هي:

• **التربية الوطنية:** وهي تعرف الفرد على ماضيه وحاضره لتتشكل لديه صورة غير مشبوهة عن ملامح مستقبله، وهي كما وصفها وشرحها في كتابه "إنية وأصالة"، "معرفة الوطن وتاريخه وقيمه وما قام به من دور إيجابي وما عاناه من آلام وما

تعرض له من حركات لتذويبه". والتربية الوطنية تتقوى باللغة الأم التي هي مرآة عاكسة للأفكار والصورة المتجسدة في الواقع.

وقد استحدثت شهادة بكالوريا للتعليم الأصلي تحت مرسوم 71-138 مؤرخ في ربيع الأول عام 1391هـ الموافق لـ 13 ماي 1971م ومعادلتها التامة ببكالوريا التعليم العام²⁴ ولم يختلف برنامجه كثيرا عن برنامج التعليم العام بل على العكس كان مكتملا من حيث المواد الحديثة واللغتين الأجنبية الاختياريتين ووو، إضافة إلى الفلسفة الإسلامية، تاريخ الفلسفة المقارن، والاتجاهات السياسية والفكرية والاقتصادية المعاصرة وتاريخ الأديان المقارن وبهذا الجمع من المواد العلمية لن يقع التلميذ ولا الطالب فيما بعد في التطرف لا من جهة الدين ولا من جهة الفلسفات الأيديولوجيات المختلفة. وهو القائل: "فالعلم بلا دين ضلالة مسطورة والدين بلا علم خرافة أسطورة"²⁵



• التربية الخلقية والاجتماعية وأساسها الإسلام دين المعاملات قبل العبادات فباستقامة الأفراد تنقوى المجتمعات وباستقامة الحياة الاجتماعية تنقوى الأمم وتتجح سياساتها التربوية والتعليمية وتتضح فلسفتها وإن أنجع الطرق لغرس هذه الروح الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي في العقول والنفوس لهما طبعاً "التربية والثقافة اللتان هما الإسمنت الروحي الذي تلتئم به الأمم والسيلان الدائم الذي يضمن تواصل أجزائها وتماسك أعضائها ووجود ذهنية واحدة لديهم تجاه القضايا المصيرية تجسم ما يسمى إجماع الأمم"²⁶

• التربية الدينية المنفتحة على العلوم والثقافات: قال في هذا الشأن - وهو مفقود في الوقت الحالي -: "يجب على الأئمة إضافة إلى الدراسات القرآنية أو كل ما له علاقة بالشرعية، أن يدرسوا الفلسفة والاقتصاد والسياسة وتاريخ الأديان المقارن وجوبا، وأن يدرسوا الثقافة والتراث، وكل هذا من أجل تكوين الأفراد تكويناً مكتملاً من الجوانب، ومن أجل التعامل مع المواقف فالإمام من ممكن أن يلتقي مع مسيحي أو يهودي أو رأس مالي أو شخص يشوه تاريخ الجزائر،...، هذا التكوين يمكنه من الدخول في نقاش مع الخصم وإقحامه، ويكون ذلك بحجج وأدلة مقنعة وبذلك يثبت الشباب على الدين الصحيح ويحميهم من الفسخ والمسخ والنسخ"²⁷.

4-خاتمة: نستشف من كل ما سبق صدق المبدأ والفعل والغاية في كتابات ومؤلفات وكذلك مواقف السي بلقاسم في الحياة العلمية والعملية فهو المعبر المبدع والناصح المرشد في تساؤل وتعجب؛ فإذا لم تأخذك القشعريرة الرهيبة عند مغادرة وطنك لمدة وإذا لم تساورك عيناك بذرف قطرات من ماء الحياة والموت كمثل تلك القشعريرة التي أخذت الرسول صلوات الله عليه عند مغادرة مكة مهاجراً، وإذا لم تطرب وأنت في الغربة عند العثور على صوت بلدك في الإذاعة، أو سماع لغتك في

الشارع، أو رأيت اسمه في جريدة أو كتاب، فأنت ليست فيك قطرة من حب الوطن ولا ذرة من وطنية، وليست فيك أدنى رائحة ولا إنسانية، وإنما تعيش كأنك حيوان، بل أنت أضل²⁸

وقد أعطى مولود بلقاسم نايت بلقاسم حلولا عملية لتحرير الدرس الفلسفي في الجزائر وفي البلاد الإسلامية جمعاء تمثلت في مايلي:

- طريق الخلاص الوحيد للتححرر من التبعية الفكرية هو الكد في تدارك ما فات.
- السعي الجاد للحاق بركب الناهضين مع المحافظة على روح الأمة وخصائصها.
- وتقديم الجوهر على الأعراض كما جاء على لسانه، أي إعادة النظر في ترتيب الأولويات، وعدم الاستغناء بالقشور عن اللباب.
- وضرورة الإقلاع عن التعلق بسلبيات الحضارة الحديثة للاقتصار على إيجابياتها هذا كله ما قصده بلقاسم نايت بلقاسم "بالإنية والأصالة مع التفتح والعالمية..."²⁹.
- وإذا أدت أن تقوي أمة أوصاكم سي بلقاسم نايت بلقاسم بالنساء خيرا دفاعا عنهن وخوفا من تمردهن ولا يمكننا إغفال هذه الوصية فحسبه:
- المرأة هي اللغة والدين والتاريخ وحب الوطن.
- المرأة هي مربية الجيل، وعماد الرجل والمجتمع والأمة.
- المرأة هي الإنية والإنسانية .
- المرأة هي الحصانة والأخلاق، هي الثقافة والأصالة، هي الوجود والبقاء.
- والمرأة كما عبر عنها "هي الانفصام والانفصال والانفصالية وهي العدم والفناء، وهي قيام الساعة"³⁰.

• كذلك الدرس الفلسفي في الجزائر لا بدله في انطلاقاته الحقيقية أن يدرك تماما مكتسبات الحضارة والفكر الإسلاميان ويدرك أسباب تراجعهما أيضا بعدما كان منطلق أوروبا نحو نهضتها وتقدمها.

- يتطلب درسنا الفلسفي أن بعمق أسباب ازدهار وانحيار أمتنا.
- وعلينا ابتكار قواعد وعوامل انبعاث جديدة للفكر الإسلامي ولحضارة المسلمين.
- وعلينا التعلم من تجارب الغير دون السماح لهم بالتحكم فينا ورسم مسارنا مهما كانوا ومهما كانت النوايا.

5- قائمة المراجع

1. أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم حياته وآثاره، شهادات ومواقف، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1977.
2. أحمد درار: التعليم الأصلي في الجزائر خلال عشر سنوات من استرجاع الاستقلال، مجلة الأصالة، العدد 8، الجزائر، 1972م.
3. محمد الصالح الصديق : الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم (خواطر وذكريات ومواقف وشهادات)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر د س.
4. مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الاولى داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص 13.
5. مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، الجزائر، دار الأمة، ط2، 2007 م.
6. مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، دار الأمة، الجزائر، 2013م.
7. مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر: دار الأمة، ط2، 2007 م، ج 1.

8. مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر: دار الأمة، ط2، 2007 م، ج2.
9. مولود قاسم نايت بلقاسم: فليدق إذن جرس الخطر والحيطة بالطبل والمزمار والغيطة، مجلة الأصالة، العدد 63/62، الجزائر، 1978م.

الهوامش والإحالات:

- ¹ - محمد الصالح الصديق: الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم، خواطر وذكريات ومواقف وشهادات، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، ص 42.
- ² - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، دار الأمة، الجزائر، 2013م، ص528.
- ³ - أحمد بن نعمان : مولود قاسم نايت بلقاسم حياته وآثاره، شهادات ومواقف، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1977م، ص32.
- ⁴ - محمد الصالح الصديق: الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم (خواطر وذكريات ومواقف وشهادات)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، دس، ص69.
- ⁵ - بلقاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص54.
- ⁶ - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، الجزائر، دار الأمة، ط2، 2007م، ص ص 103-104 بتصرف.
- ⁷ - مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج2، ص87.
- ⁸ - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص371.
- ⁹ - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص28.
- ¹⁰ - مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص 545.
- ¹¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر: دار الأمة، ط2، 2007 م، ج1، ص 27.

- 12- مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج2، ص30.
- 13- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، الجزائر: دار الأمة، ط2، 2007 م، ج2، ص 366.
- 14- المصدر نفسه، ص66.
- 15- مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص63.
- 16- بلقاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص450.
- 17- بلقاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص112-113 بتصرف.
- 18- بلقاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص219.
- 19- مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الاولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر، دار الأمة، الجزائر، 2007م، ص13.
- 20- مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م، دار الأمة ، الجزائر، 2008 م، ج1، ص28.
- 21- مولود قاسم نايت بلقاسم: ردود الفعل الاولية داخلا وخارجا على غزوة نوفمبر، ص250.
- 22- أحمد بن نعمان: مولود قاسم نايت بلقاسم (حياة وآثار شهادات ومواقف)، ص165 بتصرف
- 23- بلقاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص12.
- 24- أحمد درار: التعليم الأصلي في الجزائر خلال عشر سنوات من استرجاع الاستقلال، مجلة الأصالة، العدد8، الجزائر، 1972م، ص234.
- 25- مولود قاسم نايت بلقاسم: فليدق إذن جرس الخطر والحيطه بالطبل والمزممار والغيطه، مجلة الأصالة، العدد 63/62، الجزائر، 1978م، ص108.
- 26- مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج2 ، ص 23.

- 27- مولود قاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ج1، ص259.
- 28- مولود قاسم نايت بلقاسم: أصالية أم انفصالية، ج2، ص68.
- 29- بلقاسم نايت بلقاسم: إنية وأصالة، ص544.
- 30- مولود قاسم نايت بلقاسم : أصالية أم انفصالية، ج1، ص62.